

واقع الشعر الجزائري قبل الثورة التحريرية المسلحة

*د. علي سحنين

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.

البريد الإلكتروني: sahnineali20@gmail.com

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جانب مهم من واقع الشعر الجزائري، وذلك قبل اندلاع الثورة التحريرية المسلحة، حيث كان للوضع الثقافي والسياسي السائد- في تلك الفترة -أثره الكبير في ركود الشعر وانحطاطه، لكنه على الرغم من ذلك، وبفعل تأثير بعض العوامل شهد الشعر انبعاثا وتحولا، ومن جملة هذه العوامل، ظهور الحركة الإصلاحية التي قادت إلى ظهور الشعر الديني في إطار الاتجاه التقليدي المحافظ، وأحداث الثامن ماي 1945 ، التي أدت إلى ظهور الشعر الوطني في إطار الاتجاه الواقعي، كما كان للمدارس الأدبية الرومنسية في المشرق العربي تأثيرها البالغ في تبلور الاتجاه الوجداني الرومانسي.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجزائري، قبل الثورة، الشعر الديني، الشعر الوطني، الاتجاه المحافظ، الاتجاه الواقعي، الاتجاه الرومانسي.

Abstract:

This paper aims at throwing light upon one of the important aspects of the reality of Algerian poetry, Before the outbreak of the armed revolution, Where it was the prevailing cultural and political situation-In that period- a great impact In the weakness of poetry But even so, And by the influence of some factors, Poetry began to shift and develop, Among these factors The emergence of the reform movement, Which led to the emergence of religious poetry, Under the traditional conservative trend, And the events of 8 May, 1945, Which led to the emergence of national poetry Under the Realistic trend, It was also for romantic literary schools Great effect In crystallizing the romantic emotional trend.

* المؤلف المرسل: د. علي سحنين sahnineali20@gmail.com

key words: Algerian poetry, Before the revolution, Religious poetry, National Poetry, The conservative trend, the realist trend, the romantic trend.

1-الوضع الثقافي* والسياسي قبل الثورة المسلحة، وأثره في ركود الشعر وانحطاطه:

عرف الشعر الجزائري عبر مراحل ومساراته تحولات كبيرة أسهمت في صنع نخضته وتطوره، كما أسهمت في ضعفه وركوده وانحطاطه. ولعل ذلك يعد أمرا طبيعيا؛ لأن الوضع الثقافي العام الذي يعيشه المجتمع يؤثر إن سلبا أو إيجابا في الأشكال التعبيرية والأدبية، ومنها الشعر بشكل خاص¹. فقد كان المشهد الثقافي في الجزائر تحت وطأة تأثير الاستعمار² الفرنسي وثقافته الاستدمارية التي استهدفت -طويلا- كل مقومات الهوية الجزائرية الدينية والثقافية، مع حرصها الشديد على إحلال مكانها الثقافة الاستعمارية. يقول الدكتور "مخلوف عامر": "إن طبيعة الثقافة الاستعمارية تكمن أساسا في سعيها إلى جعل الثقافة المحلية في تبعية دائمة لها، ففي ذلك قوتها واستمراريتها وتأييد سيطرتها، وفي ذلك -بالعكس- ضعف الثقافة المحلية وانتكاسها وتبعيتها"³. ويواصل قائلا: "استمرت الثقافة الاستعمارية تكبح جماح النمو الثقافي ذي الطابع الوطني، وكانت في الوقت نفسه تطمس معالم التاريخ الوطني، ومنها معلم التراث الأدبي والنقدي"⁴ كونه يعد أحد المقومات الأساسية التي يبني عليها أي مجتمع نخضته الثقافية، ويستمد منها وعيه وتفكيره.

من هذا المنطلق يكون المستعمر -حسب الناقد مخلوف عامر- هو السبب الرئيس الذي يقف وراء الركود الثقافي في الجزائر، ووراء تخلفنا أدبيا ونقديا. فهذه الوضعية الثقافية المتردية كانت سائدة قبل التواجد الاستعماري في الجزائر؛ أي إبان العهد العثماني⁵. لكن المفارقة هي أن المستعمر سعى إلى تكريسها أكثر وبكل ما أوتي من قوة ووسائل لفرض هيمنته وترسيخ ثقافته.

يشير "صالح خرفي" في سياق حديثه عن الحالة العامة في الجزائر دينيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا إلى أن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت حملة صليبية بالأساس، مستشهدا بآراء قادتها ومن بينهم "الكردينال لافيغوري" الذي قال: "علينا أن نخلص هذا الشعب، ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"⁶. فكيف لشعب أن ينهض فكريا وأديبا وسياسيا واقتصاديا وقد استهدف في أصوله وثوابته الدينية.

ويورد "خرفي" رأيا آخر لسكريتر الجنرال بيجو الذي يقول: "آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح. أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا. ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فإننا لا نشك في أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد"⁷. فهذا الرأي يؤكد هذه الحملة الشرسة التي استهدفت مقومات الشعب الجزائري، والتي يمثلها الإسلام الذي يستمد منه وسائل قوته وعوامل نهضته.

في ظل هذه الظروف لم يكن الحديث عن شيء اسمه الشعر الجزائري ممكنا، ولا سيما في الفترة التي تسبق ظهور الحركة الإصلاحية التي يؤرخ لها الناقد "محمد ناصر" بسنة 1925؛ حيث يؤكد على أن "الضعف والانحطاط اللذين وصل إليهما هذا الشعر في تلك الفترة، إنما كان نتيجة حتمية، لما كانت تعانيه الثقافة العربية في الجزائر من اضطهاد رهيب، بعضه راجع إلى العهد التركي، وأغلبه ناجم عن الاستعمار الفرنسي الذي كان يهدف إلى استعمار استيطاني، وغزو فكري وثقافي، فقد تنفن المستعمرون في استخدام الأساليب المختلفة لتجريد الشعب الجزائري من هويته الثقافية المتمثلة في الثقافة العربية الإسلامية وبدله عوضا عنها ثقافة فرنسية مسيحية، مما جعل أثر ذلك يظهر على جيل الشباب المثقف الذين كان الاعتماد عليهم في بعث الأدب العربي في الجزائر وإحيائه بعد

ركوده، فكان أن انصرفوا عنه انصرافا يكاد يكون كلياً، إلى الآداب الأجنبية والأدب الفرنسي منها على الخصوص⁸. فكيف والحالة هذه أن يكون للشعر حضور وقد انتفت أهم وسائله وأسبابه.

وقد أورد الدكتور "محمد ناصر" في كتابه "الشعر الجزائري الحديث" رأياً لأحد رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وهو "عمر بن قدور الجزائري" (1886-1931) الذي يصف من خلاله هذه الظاهرة المرضية التي أصابت الأدب العربي والشعر بخاصة في الجزائر، بأنها تشكل مظهراً من مظاهر الاستلاب الذي كرسه المستعمر، حيث يقول: "استلبت الأمم الأخرى عقول شبان الإسلام، واستهوى مجدها نشأته، ونخبته، فكما ترى رجالا يفتخر بذكرى عالم فرنسوي، وآخر يمجّد اسم عالم إنجليزي، ترى شاباً يرفع عقيرته بأشعار فيكتور هوغو والآخر معجب بروايات شكسبير وهكذا فلا شغل لتلك الفئة، إلا حمد رجال أوروبا وتمجيد نثرهم وشعرهم واختراعاتهم، و من المحال أن يخطر في بال أحدهم، ذكر علامة مسلم أو شعر شاعر عربي مفلق، أو إصلاح مصلح شرقي، وأمثال هؤلاء عندهم كل شيء في الوجود"⁹.

ومما يؤكد هذا الواقع وهذه الحالة المتدنية التي آل إليها الشعر في هذه الفترة، سواء في مستوى التعبير اللغوي والتصوير الفني، أو في مستوى الالتزام بالقوانين العروضية الخليلية، ما أشار إليه الشيخ "البشير الإبراهيمي" حينما قال: "وقد اطلعنا على أكثرها [الأشعار] فإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق، لأنها منقطعة الصلة بالعربية في ألفاظها ومعانيها، ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه واختراعه"¹⁰.

على الرغم من وجاهة رأي الإبراهيمي وصدقه في تشريح واقع الشعر الجزائري في هذه الفترة، وتقييمه، إلا أن ذلك لا يعني تخلي الجزائريين عن مبادئ دينهم وعقيدتهم ولغتهم، فقد حاولوا التثبت بأصولهم والدفاع عنها بكل ما أتيح لهم من قوة، وقد تجسّد ذلك في المؤسسات التعليمية

المتثلة آنذاك في الكتابات والزوايا والمساجد التي تركز نشاطها في تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبعض المتون اللغوية في النحو والصرف والبلاغة، والفقه والتوحيد، والأصول.

وفي هذه الأثناء انحصر الاهتمام بالشعر داخل هذه المراكز التعليمية في الأغراض الدينية خدمة للرسالة التي كانت تؤديها هذه المراكز كمدح المشايخ والصالحين والأولياء وذكر مآثرهم والتغزل بالذات الإلهية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته، إلى غير ذلك من الموضوعات الدينية والصوفية التي جعلت الشعر الجزائري في هذه الفترة شعرا دينيا محضا، لأن الشاعر الجزائري وجد في الدين ملاذا، وفي التصوف راحة من الظلم والاستبداد الذي فرضه المستعمر، وهذا على حد تعبير عبد الله الركبي¹¹.

وعلى الرغم من ذلك يرى الدكتور "محمد ناصر" أنه "قد يعثر الباحث على بعض القصائد القليلة التي تعالج موضوعات ذاتية ولكنها لا تتجاوز الغزل التقليدي المتكلف، والفخر القائم على التباهي بالأجداد والأنساب، والتذمر من العصر وأهله بطريقة، متهافئة، ضعيفة، إلى جانب المجاملات، والإخوانيات، مثل التهئة بمولود أو بترقية، أو بوسام، أو بمناسبة عيد، أو للتعزية في مصاب، بل إن بعض هذا الشعر ليتردى إلى مدح الحكام الفرنسيين بطريقة فيها نفاق وتعلق، بأسلوب قريب من العامية لا أثر للشاعرية فيه... أغراضه تافهة لا يضطرب معها القلب ولا يطير محلقا معها في سماء الخيال والشعور، وكانت المعاني في غالب الأحيان مبتذلة، ركيكة، منحطة تزحف كالسلحفاة"¹². كان هذا على صعيد المضمون، وأما على صعيد التشكيل الفني والجمالي، فالأمر لا يختلف تماما عن سابقه فقد تجرد الشعر من كل المواصفات الجمالية، وشاعت فيه الأخطاء العروضية، والتقليد المتكلف، وطبعه التشطير والتخميس، والأكثر من ذلك أن مفهوم الشعر كان مختلا وغير واضح في أذهان السواد الأعظم من شعراء هذه الفترة؛ إذ حسب أحدهم أن يحاكي

أشعار القدامى وينسج على منوالهم ليكون شاعرا¹³. ومن منظور هذا المستوى من الوعي بمفهوم الشعر وطبيعته كانت أشعارهم أقرب إلى النظم منه إلى الشعر.

من هنا أمكن القول بأن الأدوار التي كانت تؤديها "هذه المراكز التعليمية بوسائلها المحدودة، وثقافتها التقليدية لم تكن مؤهلة لتنهض بالأدب العربي في الجزائر، ولو أنها ساعدت على بقاء اللغة العربية، فمن طبيعة أية نهضة أدبية أن تسبق بنهضة ثقافية تمهد لها وتسندها، وتكون لها بمثابة القاعدة الصلبة التي تنطلق منها"¹⁴ في بناء أسسها وتحديد هويتها.

2- الحركة الإصلاحية ودورها في انبعاث الشعر الجزائري:

لقد تباينت المواقف من الثقافة الاستعمارية، فظهرت في بداية القرن العشرين ردود أفعال مناوئة للاستعمار وللثقافة الغربية بشكل عام، وهي لا ترى الحل إلا في الرجوع إلى التراث والاحتماء به ضد الثقافة الدخيلة، وقد استمد هذا الاتجاه قوته من الكتابات والزوايا والمساجد، وقد تجسد ذلك في الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" والعلامة الشيخ "البشير الإبراهيمي".

ويذكر الدكتور "مخلوف عامر" أن هذا الاتجاه العام كان ينمو بداخله اتجاه إصلاحي جنيني دعا أصحابه إلى ضرورة الرجوع إلى الأصول التراثية والدينية الأولى والصحيحة، وكان رائده الشيخ "محمد طفيش" (1818-1914) الذي تتلمذ على يديه كل من "إبراهيم بيوض" والشاعر "أبو اليقظان" اللذين كان لهما دور في تأسيس جمعية العلماء المسلمين¹⁵. وفي مقابل هذا الاتجاه ظهر اتجاه اندماجي رأى أصحابه إلزامية مواكبة المستجدات في العالم، وأن التمسك بالماضي والركون إليه ليس هو الحل بقدر ما يكمن ذلك في الحديد الوافد إلينا من جراء الاحتكاك بالثقافة الغربية.

واجه أنصار هذا الاتجاه ردات فعل عنيفة من قبل المحافظين جعلتهم محل سخرية واستهزاء، لأنهم يعدون فئة مقلدة للغرب منبهرة بحضارته المزعومة، كما أن ظاهرة الزواج بالأجنبيات والاندماج في الثقافة الفرنسية حملت الأدباء على الكتابة، وفي ذلك كتب "أحمد رضا حوحو" نصا ساخرا موضوعه (الزواج بالأجنبيات) وقال الشاعر "الأمين العمودي" أبياتا من الشعر في الطبيب "سعدان" الذي تزوج بإحدى الفرنسيات التي أنجب معها ولدا سماه صالحا. فقد لخصت هذه الأبيات نظرة المجتمع وقتها إلى دعاة الإدماج، إذ يقول:

حيوا الحكيم ولا تنسوا قرينته

فهو سليمان والمادام بلقيس

له غلام أطال الله عمرته

تنازع فيه العرب والفرنسيس

لا تعذله إذا ما خان أمته

فنصفه صالح والنصف موري¹⁶

ومهما يكن فإننا نسلم مع الدكتور "محمد ناصر" بأن الانطلاقة الحقيقية للشعر الجزائري ونهضته كانت بعد الحرب العالمية الأولى¹⁷ التي كان لها كبير الأثر في تبلور الوعي الإصلاحي والفكري والديني الذي انعكست تأثيراته الإيجابية -فيما بعد- على الوعي السياسي والوطني. يقول "محمد ناصر": "نستطيع القول بأن البداية الحقيقية للنهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، إنما ارتبطت بهذه الحركة الإصلاحية. ذلك لأن الذين قاموا بها تخرجوا في المعاهد العربي العالية بتونس، والمشرق، وكانوا على صلة وثيقة بالحركات الوطنية والإصلاحية التي كانت تشهدها هذه البلاد، وكان تأثيرهم بالنهضة المصرية، فيما نحسب من أهم العوامل التي زودتهم بالمدد الروحي"¹⁸. ويدعم هذا الرأي ما قاله البشير الإبراهيمي عن هؤلاء: "حمل أولئك النفر من مصر ومن تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي، كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان، وقارن ذلك أو سبقه بقليل وصول الآثار

الأدبية الجديدة من شعراء الشرق المجلين. وعرفت الجزائر شعر شوقي، وحافظ ومطران والرصافي، وما انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت تلك المؤثرات المختلفة قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية"¹⁹.

لقد شكلت بوادر الحركة الإصلاحية الشرارة الأولى لإشعال فتيل الحراك الثقافي والأدبي الذي نهضت به نخبة من رجالات الإصلاح في الجزائر، كان أبرزهم العلامة "عبد الحميد بن باديس". ولعل المهمة الأساسية التي قام بها هؤلاء هي تفعيل دور الصحافة من خلال بعث الصحف والجرائد والمجلات، وقد تجسد ذلك في إطلاق جريدة "المنتقد" التي تأسست سنة 1925، والتي كانت تحتضن الأقلام الأدبية والشعرية، وتروج لها، كما أنها سعت إلى توجيهها وفتحها على ما يجد في ساحة الأدب العربي. ومن أجل تأكيد الأدوار التي أدتها هذه الجريدة يستشهد "محمد ناصر" برأي رائد الحركة الإصلاحية ورجلها الأول الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" الذي يقول: "الحقيقة التي يعلمها كل أحد، أن هذه الحركة الأدبية، ظهرت واضحة من يوم أن برزت جريدة المنتقد فمن يوم ذاك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل"²⁰. وهؤلاء أمثال: محمد السعيد الزاهري، ومحمد العيد آل خليفة، وحزمة بوكوشة، ورمضان حمود، وأحمد سحنون، وغيرهم. لكن هذا التحول الواضح في مسيرة الشعر الجزائري قد توج بظهور ما نسميه مع "محمد ناصر" أول ديوان شعري جزائري، وهو من تأليف الشاعر* "محمد الهادي السنوسي الزاهري" الذي جمع فيه قصائد مختلفة وأشعارا لإثنين وعشرين شاعرا جزائريا سماه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر". وعن هذا الكتاب الديوان يقول الشيخ "مبارك الملي" : "فقدت شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المشوه بلغة التأليف، ونفذوا إلى الأدب الغض، واستمدوا منه شعورهم الرقيق الطاهر... وعن أمثال هؤلاء الشباب نعلق آملنا في تجديد الأدب الجزائري، ورفع مستواه"²¹.

وإلى جانب جريدة المنتقد برزت إلى الوجود العديد من الصحف الوطنية اسهمت بدورها في تنشيط الأدوار السابقة، عن طريق تعريفها بالشعر والشعراء وتشجيع، ونشر أشعارهم، وتقديم الدعم اللازم لهم، فظهر بذلك إنتاج غزير احتضنته تلك الصحف يعبر عن المرحلة، ويؤكد الأدوار الإصلاحية المنشودة. ومن هذه الصحف يذكر الباحث "محمد ناصر" الشهاب 1925 وصدى الصحراء 1925 ووادي ميزاب 1926 والإصلاح 1927 والبرق 1927. من هذا المنطلق ينتهي "محمد ناصر" إلى التسليم مع بعض المهتمين* بشؤون الحركة الأدبية وتطورها في الجزائر إلى "أن البداية الحقيقية لها إنما ترتبط برباط وثيق ببداية الحركة الإصلاحية، وأن الحداثة في الشعر الجزائري بمفهومها الصحيح، إنما تبدأ في هذه الفترة لا قبلها...[و] أن ارتباط الشعر الحديث في الجزائر بالحركة الإصلاحية جاء أمرا طبيعيا لأنه كان من أهداف هذه الحركة تشجيع اللغة العربية ونشرها بكل الوسائل، وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وإذاعتها في الأوساط الجزائرية بمختلف الأساليب، وكان الشعر إحدى أدواتها وأساليبها، ومن ثم فقد عرف صحوته الحقيقية بعد تأسيس جمعية العلماء في سنة 1931"²²؛ لأن ذلك كان له أثره البارز في تطور الشعر فنيا ومضمونيا وابتعاده كثيرا عن النظم الذي لازمه طويلا، وكذلك في تغير عقلية الشعراء في فهمهم للواقع وتفاعلهم معه وتعلقهم بقضايا الإصلاح والوطن والمجتمع، مما أدى إلى تبلور الاتجاه الشعري المحافظ الذي أسفر بدوره عن ظهور اتجاهات شعرية أخرى، وأبرزها الاتجاه الرومانسي.

3- الحركة الإصلاحية ودورها في ظهور الشعر الديني:

ارتبط ظهور هذا النوع من الشعر على يد دعاة الإصلاح في الجزائر، وكانت جمعية العلماء المسلمين هي الموجه الرسمي له، وذلك من خلال دعوتها الإصلاحية ومواجهتها العنيفة للانحراف الديني والطرق الصوفية التي كان نشاطها واسعا في تلك الفترة. وكان من الطبيعي جدا أن يسخر الشعراء الكلمة للتوعية الدينية، ومحاربة الفكر المنحرف الذي بات يشكل خطرا على مقومات

المجتمع الجزائري وثقافته الأصيلة. وقد ظهر مجموعة من الشعراء المتدينين أمثال: عبد الحليم بن سماية، ومحمد بن مصطفى بن خوجة وعمر بن قدور والمولود بن الموهوب واللقاني السائح، ومحمد العيد آل خليفة... وغيرهم. أما الموضوعات الدينية التي طرقها هؤلاء الشعراء فقد تنوعت بين الدعوة إلى الإصلاح والتعليم والتوعية الدينية، وبين محاربة الطرقية وانحرافات أصحابها وضلالاتهم، وبين محاربة المستعمر ومعالجة الواقع الاجتماعي والسياسي المتردي، فضلا عن تناول المناسبات الدينية والأعياد والمواسم، والاهتمام بالقضايا والشخصيات الإسلامية المشهورة.

فعن موضوع التصوف والطرقية يقول "محمد السعيد الزاهري":

كانوا طوائف شتى كل طائفة	تطيع شيخا لها في كل ما زعما
إن قال إني (ولي) صدقوه، وإن	هو ادعى الغيب قالوا أحكم الحكمما
وإن تعلم بعض الشيء تهجية	قليلة، هتفوا يا أعلم العلماء
وإن هو ارتكب الفحشاء فاضحة	فلا محالة، معذور و قد أثما
أو احتسى الخمر قالوا أنها عسل	ولا غرابة في هذا ولا جرما
أو ادعى أن خير الخلق يخدمه	فما اعتدى عنهم فيها، و لا ظلما
أو لم يصل، رأوه حسبما زعموا	يقيمها، إذ يزور البيت والحرما
إذا بكى، حسبوا الأيام باكية	ويضحك الدين والدنيا، إذا ابتسما

في كفه المنع و الإعطاء عندهم والدين والخير فيما شاد أو هدم²³

وعن الحث على التمسك بالقرآن الكريم يقول "محمد العيد" مخاطبا طلابه في مدرسة الشبيبة الإسلامية:

يا معشر الطلاب هل من آخذ بالذكر، أو مستمسك بزمامه

فتشرفوا بالأخذ من آدابه وتعرفوا بحلاله وحرامه

ولكل شيء في الحياة أذية وأذية القرآن من أقوامه²⁴

وفي هذا الإطار تصدى محمد العيد إلى الفرنسي "روبير آشيل" الذي تهجم على القرآن والإسلام في قصيدة مشهورة عنوانها ب: "هذيان آشيل" يقول في مطلعها:

هيئات، لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدل توراة وإنجيل²⁵

وعن الدعوة الإصلاحية التي قادتها "جمعية العلماء المسلمين" وعنايتها الكبيرة بتعاليم الدين والقرآن الكريم، وحرصها الشديد على التمسك بالإسلام والسنة والعروبة، يقول الزاهري:

حيي العروبة في جمعية العلماء وحيي ويحك فيها الدين والشيماء

تدعو إلى الله عن علم وبينه لا كالذين إلى جهل دعوا، وعمى

جمعية، جمعت من بعد ذاك على القرآن، والسنة الغراء أهلها²⁶

وعن مدح الشخصيات الدينية ورجال الإصلاح في الجزائر يستقبل "حمزة بوكوشة" الشيخ "الطيب العقبي" في أثناء زيارته الإصلاحية لقرية دلس في بلاد القبائل بالشرق الجزائري، حيث يقول:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني قم ناج قلبي بتغريد وتحنان

فإن مثلي كئيب حل في شرك وأنت مثلي غريب بين أوطان

لولا فروض علينا العلم يفرضها ما كنت ألقاك، بل ما كنت تلقاني²⁷

وقد كانت المناسبات الدينية، ومنها المولد النبوي الشريف فرصة لقول الشعر، والتغني بالأبجدات الماضية، ومناسبة لإحيائها بالمدائح النبوية، ولا سيما مدح سيد الخلق "محمد" صلى الله عليه وسلم وذكر مناقبه الجليلة، ومآثره الخالدة. فهذه قصيدة "أنشودة وليد" لمحمد العيد آل خليفة تبرز مدى اهتمام الشعر بهذه الشخصية الإسلامية العظيمة:

بمحمد أتعلق وبخلقه أتخلق

إن التعلق بالرسو ل، ودينه، بي أليق

يا قائدا في الحرب صف جنوده لا يخرق

لي أسوة بك في دفا عك، يوم خط الخندق²⁸

وفي موسم الحج لسنة 1938 يودع محمد العيد وفد الحجاج قائلا:

قل للذين من الجزائر، حزموا صوب الحجاز رجالهم تحزيمًا

بالأمس كنا ظاهرين على العدا ومرغمين أنوفهم ترغيمًا

واليوم نسعى بعد فقد فخارنا أن نستعيد فخارنا ونديما²⁹

كما كان للحركات الإسلامية في العالم العربي صدها في الشعر الجزائري، ولا سيما الحركة الوهابية التي تأثر بها الفكر الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين. فقد أبدى الشاعر الجزائري تجاوبا مع مجهودات علماء الحركة، وخدمتهم للإسلام الصحيح، ومحاربتهم للبدع والضلالات، وهامو "رمضان حمود" يتغنى بمآثر هذه الحركة ودعوة التجديد التي أتى بها "محمد بن عبد الوهاب":

و بات دين الهدى في الأرض مرتفعا	الله أكبر نجم العرب قد سطعا
فحقق الله آيات بها صدعا	فتح من الله، والنصر المبين أتى
وكان فيما مضى بالذل مقتنعا	في الشرق قاطبة، سر الحياة نما
تحرق الجهل والتضليل والبدعا	في كل ناحية نار مؤججة
من مهد النبوة، قوم بدرهم طلعا	من جانب الشرق في قلب الجزيرة
من كل من ضيع الإسلام وانخدعا	أحيوا معالم دين الله وانتقموا
أرضا مقدسة، فيها الهدى شرعا	وطهروا تربة للمسلمين غدت
بفضل سيفهم البتار إذا لمعا	وصيروها لحج الناس آمنة
تلك الربوع، فصار الدين متبعا	حيي البطولة في شخص له خضعت
بحكمة العدل بين العرب قد جمعا ³⁰	(ابن السعود) أمام المسلمين ومن

4- تأثيرات أحداث الثامن من ماي 1945 في حركة الشعر الجزائري:

مكنّت النظرة المعادية للمستعمر ومناداة الشعب الجزائري بحقه في الحرية والدفاع عن قضيته المشروعة من شحذ الهمم والأقلام من أجل التعبير عن مواقفهم الرافضة للوجود الاستعماري، وقد كان لأحداث الثامن من ماي 1945 - بعد الحرب العالمية الثانية - أثر كبير في تعميق ذلك وإسهامها في اقتناع جميع الأطراف الثقافية بضرورة الالتفاف حول قضيتهم ووحدّة تراهم الوطني واستقلال هويته التاريخية والثقافية وتميزها. إذ "لم تكن اللغة في هذه الظروف تثير حساسيات كبيرة كما حدث

في ظل الاستقلال، لأن الأغلبية من أولئك الجزائريين الذين تثقفوا بالفرنسية، صاروا يستخدمون هذه اللغة سلاحاً في مواجهة العدو. ولعل محاضرة كالتى ألقاها "كاتب ياسين" عن الأمير عبد القادر باللغة الفرنسية وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره أن يكون لها تأثير أقوى وأشد من محاضرة تلقى في الموضوع نفسه باللغة العربية في تلك الظروف³¹. وليس مستبعداً منه هذا الموقف وهو صاحب المقولة الشهيرة "لنجعل من الفرنسية غنيمة حرب"، وليس من باب الصدفة أن يكتب الفيلسوف "جون بول سارتر" كتابه المشهور "عارنا في الجزائر" كما يشير إلى ذلك الناقد مخلوف عامر³².

5- اتجاهات الشعر الجزائري قبل الثورة:

لقد أسهمت المؤثرات والعوامل السابقة، ولعل أبرزها ظهور الحركة الإصلاحية في بروز عدة اتجاهات شعرية في هذه الفترة يمكن حصرها فيما يلي:

5-1- الاتجاه التقليدي المحافظ: شكل هذا الاتجاه صدى وامتداداً للشعر العربي القديم، وذلك من خلال حفاظه على الهيكل العمودي لبناء القصيدة القديمة ومعمارياتها الكلاسيكية، كما سعى أصحابه إلى ترسيخ التقاليد الموروثة بمختلف خصائصها وموضوعاته، فقد التزم هؤلاء القافية الواحدة والبحر الواحد واللغة القديمة والألفاظ الجزلة والأغراض القديمة كذلك. وقد كان لمدرسة البعث والإحياء العربية تأثير بارز في ظهور هذا الاتجاه وترسيخه، كونها عملت على ربط الشعر بأصوله وروافده الأولى، وبقوانينه التي رسمها النقاد القدماء مثل ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، وابن طباطبا، وغيرهم. ومن هذه القوانين التعريف الذي وضعوه للشعر (وهو الكلام الموزون المقفى)، الذي انتصر له ودافع عنه العديد من الشعراء الجزائريين أمثال أبي اليقظان، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد الهادي السنوسي، و"أحمد الأكحل"³³، الذي يعرف الشعر بأنه "الكلام

الموزون المقفى: السهل العبارات، ذو الخيال البديع، والاستعارات البليغة الفائقة، والمعاني الرقيقة الشائعة دون الغريبة، لأن البلاغة ما فهمته الخاصة والعامة"³⁴. وقد كان لجمعية العلماء المسلمين اليد العليا في العناية بالتراث الأدبي العربي القديم، والرجوع إليه بعيدا عن الدعوات التجديدية التي تنقص من قيمته وتزدريه، ويتجلى ذلك بوضوح في آراء "ابن باديس" الذي يقول -ردا على ما ورد في كتاب "الخيال الشعري عند العرب" لأبي القاسم الشابي-: "الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية، وأصل بلاغتنا، ومرجع شعرائنا في اللغة والبلاغة، والأساليب العربية، فدرسه والاستفادة منه، أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين، فكيف نبي دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهد فيه..."³⁵

وقد كان الشيخ "البشير الإبراهيمي" من أشد المدافعين عن التراث، والداعين إلى ضرورة الاطلاع عليه واستيعابه وفهمه فهما جيدا يعمل على إنماء ملكات الشعراء وتقوية قرائحهم، وانطلاقا من ذلك فهو يحدد معايير نقدية لتقييم الشعر؛ إذ تجده يعد التضلع في الأدب العربي القديم، وإمعان النظر في كتب القدماء مثل كتاب الأغاني، واحتذاء أشعارهم، مقياسا حقيقيا للحكم على جودة الشعر، ودليلا واضحا على التفوق والمقدرة الشعرية، فضلا عن ملاحظاته اللغوية التي كان يسجلها على الشعراء³⁶. وإلى جانب ذلك نجد من الشعراء أيضا من كان يوجه الشعراء الشباب إلى محاكاة الشعر العربي القديم، ويدعوهم إلى النسج على شاكلته، ومن هؤلاء "محمد العيد" الذي يوجه الشاعرين: "عثمان بلحاج" و"محمد الأخضر السائحي" ويرشدهما بقوله:

إني أرى الأدب الجديد كساكما حللا ترف بحسنها وبرودا

فتعهدا الأدب القديم فإنه أحلى محاورة وأصلب عودا³⁷

من هذا المنطلق تميز الشعر الجزائري التقليدي المحافظ والملتزم بالقوانين التي سنّها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقبله الشعراء القدامى، بمجموعة من الخصائص تسم هذا الاتجاه لدى شعرائنا، ومنها: جودة اللغة وجزالة الألفاظ، والابتعاد عن التكلف والتزامه بالصدق، وبقواعد اللغة والنحو والصرف

والعروض. ومن الشعراء البارزين المتمثلين لهذا الاتجاه نذكر: محمد العيد، أحمد سحنون، محمد اللقاني، أمين العمودي، وسعيد الزاهري، والهادي السنوسي، وسنذكر بعض النماذج الشعرية التقليدية، التي جاء معظمها في ثوب إصلاحي، بالنظر إلى ارتباط هذا الاتجاه بالحركة الإصلاحية. يقول ابن باديس:

ودع غزلا للغانيات، فطالما سلا عن وصال الغانيات نبيل
فديدني الآداب والعلم مقصدي ولا زلت في نيل المعالي أجول³⁸
ويقول اللقاني بن السائح:

ألا فدع التغزل في غوان فتلك طبيعة المستهترينا
فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا³⁹

هكذا يتضح جليا مدى تأثير الشعر الجزائري في هذه الفترة بالقصيدة القديمة، وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى الثقافة السلفية القديمة لرواد الحركة الإصلاحية، وإلى ارتباط نهضة الشعر الجزائري وتطوره بها.

5-2- الاتجاه الوجداني الرومانسي:

تبلور هذا الاتجاه الشعري، ونشأ متأثرا بالظروف التي عاشتها الجزائر المستعمرة بعد الحرب العالمية الأولى، كما كان للمدارس الشعرية الرومانسية في المشرق مثل الديوان والمهجر وأبولو تأثيرها الكبير في ظهوره؛ إذ أبدى الشعراء الجزائريون رغبتهم في تغيير نظرهم التقليدية إلى الشعر ومفهومه وعلاقته بالذات والمجتمع، ويعد "رمضان حمود" أحد أبرز الشعراء الرومانسيين، الثائرين ضد القيود الكلاسيكية التي رسمها أصحاب الاتجاه التقليدي، التي كبلت الشعر ردحا من الزمن، والشعر في نظره ما كان ملامسا للإحساس والشعور والصدق في التعبير عن التجربة النفسية. وقد اتضح منهجه ورؤيته الشعرية من خلال دراسته التي نشرها في مجلة الشهاب سنة 1927 تحت عنوان

"حقيقة الشعر وفوائده" منتها إلى خلاصة رأيه في التجديد الشعري بقوله: "فيا أيها الأدباء الأحرار، انبذوا التكلف والتنطع في اللغة، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل، واخضعوا لصوت الضمير والواجب، وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد، ولا تقيدوا كتاباتكم برأي أحد، مهما كان شأنه وقدره في الأدب، ومهما كان بيانه الساحر"⁴⁰. فمن خلال هذا القول يتضح جليا دعوة الشاعر إلى التحرر من القيود الشعرية الكلاسيكية، والابتعاد عن التكلف والصنعة اللغوية، ملمحا في الوقت نفسه إلى ضرورة الالتزام بما يمليه الواجب الوطني وظروف المعيشة والحياة التي يتكبدتها الشعب، من خلال التعبير الصادق الذي ينبع من الوجدان والذات والنفس، ومؤكدا على أن يكون الشعر صدق يعبر عن آلام المجتمع وأحلامه وآماله.

لقد أفضى به الأمر إلى الثورة على أحمد شوقي، وتهجمه على طريقته التقليدية، ونبذها، حيث يقول: "ولم أقصد بنقدي التنقيص من سمعة الشاعر الكبير، فقدرة أعلى منزلة من أن تتناوله يد المتناول... وإذا كان الكلام على شوقي وأضرابه، فإن القصد منه إثارة الطريق الذي ينبغي أن يسلكه أبناء الجزائر الأدباء، لأن الشرق في غنى عن أقوالنا في هاته الأيام كما يظهر... نعم إن شوقي أحيا الشعر العربي بعد موته، وفتح الباب الذي أغلقته السنين الطوال، ولكنه مع ذلك لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل، أو سن طريقة ابتكرها من عنده، وخاصة به دون غيره، أو اخترع أسلوبا يلائم العصر"⁴¹. وبهذا فإن حمود تحركه الرغبة الجارحة في التحرر من قيود الماضي والتفاعل مع الحاضر والواقع والاندماج في أحضان المجتمع الذي يعيش فيه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، لذلك عمد إلى رفض طريقة شوقي التي لا تتلاءم -في نظره- مع مقتضيات عصره، مستعينا عنها بطريقة جديدة تلجأ إلى توظيف قاموس لغوي مختلف ومعان مغايرة كالغربة والتشاؤم وتوظيف الطبيعة والرمز والغموض، ولذلك قرن بصنوه الشاعر التونسي الكبير "أبو القاسم الشابي". إن تجربة التجديد الشعري عند "رمضان حمود" على الرغم من قصر مسيرتها التي لم تعمر طويلا (1906-1929)، إلا أنها استطاعت أن تؤثر في الأجيال اللاحقة التي حاكمتها ونسجت على

منوالها وشاكلتها، لأنهم وجدوها سبيلا إلى التعبير عن معاناتهم وخلجاتهم النفسية. فقد كان لصرخته المدوية في التجديد الشعري وقعها الخاص على الشعراء الجزائريين فيما بعد، أمثال: أحمد سحنون، أبو الياسم سعد الله، الأخضر السائحي، مصطفى الغماري، ومبروك بوساحة... وغيرهم. فإذا كان "عبد الرحمان شكري" اختزل النظرة إلى الشعر في بيت له من الشعر: ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان. فإن "رمضان حمود" قد أعاد صياغة هذا المعنى في بيته الشعري: وقلت لهم لما تباهو [بشعرهم] ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر.

من هذا المنطلق، فقد جاء رده شعرا كذلك على دعاة التقليد، حيث يرى أن هؤلاء:

أتوا بكلام، لا يحرك سامعا	عجوز له شطر وشر هو الصدر
وقد حشروا أجزائه تحت خيمة	كعظم رميم ناخر ضمه القبر
وزين بالوزن الذي صار مقتفى	بقافية للشط يقذفها البحر
وقالوا وضعنا الشعر للناس هاديا	وماهو شعر ساحر لا ولا نثر
ولكنه نظم وقول مبعثر	وكذب وتمويه، يموت به الفكر
فقلت لهم لما تباهاوا بقولهم:	ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر
وليس بتنميق، وتزويق عارف	فما الشعر إلا ما يحن له الصدر
فهذا خيرير الماء شعر مرتل	وهذا غناء الحب، ينشده الطير
وهذا زئير الأسد تحمي عرينها	وهذا صفير الريح ينطحه الصخر
وهذا قصيف الرعد في الجو ثائر	وهذا غراب الليل يطرده الفجر
فذاك هو الشعر الحقيقي بعينه	وإن لم يذقه الجامد الميت الغر ⁴²

إن الشعر الرومنسي الوجداني في الجزائر في هذه الفترة التي تسبق الثورة، وإن كان يمثل "رمضان حمود" بشكل لافت، إلا أنه كان قريبا من الجماهير الشعبية، ومعبرا عن قضايا الوطن وهوموه

وظروفه؛ لذلك فقد امتزجت عواطف الشعراء بعواطف الشعب وشعوره وأحاسيسه، وهو ما جعل رمضان حمود صادقا في تصويره للواقع بكل أبعاده ومختلف أشكاله، على النحو الذي نلمسه في قصيدته "شعبي الكئيب":

ما لشعبي الكئيب بات حزينا	يرسل الدمع تارة والأنينا
بات يشكو الهوان والليل داج	مثل حظ الشقي والبائسينا
بات يحصي النجوم والدمع نساب	على الوجنتين دمعا هتونا
قلت هونا فأنت كالبدر فينا	أنت منا أب ونحن البنونا
يا حبيب القلوب مهلا فإني	بالفدا لا أكون عنك ضنينا
أيها الضاحكون والشعب باك	من صروف به تشيب الجنينا
ذاب قلبي ومات جسمي شهيدا	من هموم تنهال كالغيث فينا
يا إلهي وأنت تعلم سري،	بين قومي صرت الغريب الحزينا
عجل النصر للبلد فإنا	لمهاوي البلا نساك عزيزنا ⁴³

بناء على ما سبق يمكن القول بأن هذا الاتجاه قد أسهم بشكل لافت في تطوير مستوى الشعر الجزائري، وإعطائه نفسا إضافيا، لا سيما من حيث القاموس اللغوي الموظف، واللغة الشعرية الإيجابية المستمدة من عالم الطبيعة، والقضايا الإنسانية والواقعية التي يعالجها من منظور الذات النفسية والإحساس والوجدان الرومنسي.

5-3-الاتجاه الواقعي:

جاء بروز هذا الاتجاه الشعري في الجزائر جراء اقتراب الشعراء الجزائريين من مجتمعهم المضطهد والمكبل بقيود المستعمر، فكان منهم سوى الالتفاف حول قضيتهم الواحدة ومصيرهم المشترك، وهي قضية الوطن. كما كان للحركات الوطنية والثورية أثر كذلك في ترسيخ هذا الاتجاه من خلال

تحفيز الشعراء وتحريضهم على الكتابة استجابة لمعاناة الشعب ونقلًا لموموه وتصويرًا لواقعه المرير الذي يعيش تحت وطأة المستعمر. ولعله من بين أبرز الشعراء الذين كتبوا في هذا الاتجاه نجد الشاعر "محمد العيد آل خليفة" يقول في قصيدته "يا قوم هبوا" التي نشرت في جريدة المنار سنة 1950، وهو يحث الشعب على مواجهة المستعمر، وعلى ضرورة الاستفاقة بغية التخلص من قيود الأسر التي تكبله.

حثوا العزائم واصدقوا الآمالا	إن الزمان يسجل الأعمالا
يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم	فالعمر ساعات تمر عجلا
الأسر طال بكم فطال عناؤكم	فكوا القيود وحطموا الأغلالا
والشعب ضج من المظالم فانشدوا	حرية تحميه واستقلالا
لا أمن إلا في ظلال مرفرف	حر لنا عال ينير هلالا
من فوق جند بالعتيد من القوى	يلقى العدو ويصمد استبسالا
وإذا أراد الشعب نال مراده	ولو أنه كالنجم عز منالا
الله في عون الشعوب فمن يرم	تعويقها بالقمع رام محالا ⁴⁴

صفوة القول في نهاية هذه الجولة التاريخية المتتبعة لمسيرة الحركة الشعرية الجزائرية وتحولاتها، منذ التواجد العثماني في الجزائر وإلى مرحلة ما قبل قيام حرب التحرير، أن هذه الحركة الشعرية كانت تابعة للوضع الثقافي والسياسي العام السائد في هذه الفترة، الذي يتحكم بدوره في الظاهرة الثقافية والأدبية. وعلى هذا الأساس فقد تميزت مرحلة التواجد العثماني في الجزائر بالعدم الثقافي والشعري، وذلك للأسباب المذكورة آنفا، غير أن الوضع بقي على حاله ولم يتغير كثيرا مع المستعمر الفرنسي على الرغم من أنه شكل عاملا نهضويا حرك المقاومة الشعبية، ومعها الحركة الثقافية، لكن هذا

الحراك الثقافي ظل ضعيفا ودون المستوى المطلوب في بداياته الأولى، كما أنه لم يصل إلى مرحلة النضج والوعي إلا بعد الحرب العالمية الأولى والثانية مع ظهور الحركة الإصلاحية التي شهدت ميلاد مرحلة مغايرة في تاريخ الثقافة الأدبية والشعرية في الجزائر، والتي عملت على النهوض بالأدب والشعر وبعثه من ركوده الذي لازمه ردحا من الزمن، وذلك من خلال ربطه بالأصول العربية الأولى وبالثقافة السلفية القديمة، مما أدى إلى ظهور اتجاه شعري أول محافظ ارتبط بهذه الحركة الإصلاحية وعمل على ترسيخ التقاليد الشعرية القديمة. ثم بعد ذلك شهدت هذه الحركة الشعرية تبلور اتجاهات أخرى نتيجة التحول الحاصل في مسيرة المقاومة الشعبية ونتيجة الأحداث التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة، ومن هذه الأحداث حوادث الثامن ماي التي غيرت من رؤية الشعراء الجزائريين، مما أدى إلى تشكل الاتجاه الواقعي والاتجاه الرومنسي.

الهوامش:

*: للاطلاع على الواقع الثقافي للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده يمكن الرجوع إلى كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998. وهو كتاب ضخم يتكون من عشرة أجزاء كاملة.

1: ينظر، مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هوم، الجزائر، ط1، 2002، ص. 205.

2: يفضل الراحل المرحوم "مولود قاسم نايت بلقاسم" أن يطلق صفة الاستدمار بدل الاستعمار على المختل الفرنسي لما للكلمة من دلالة عميقة على سياسته التدميرية المنتهجة، ولأن كلمة الاستعمار لا تعبر عن هذا المعنى السلبى بقدر ما تعني إعمار الأرض وإفلاحها وعمرانها، وقد أخذ هذا المعنى الإيجابي من القرآن الكريم، في قوله تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}. كما يفضل أيضا أن يطلق عليه تسمية الاستخراب والاستحمار.

3: مخلوف عامر، المرجع السابق، ص. 206.

4: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

5: لم يكن اهتمام العثمانيين متوجها إلى العناية بالثقافة بشكل أساسي، وإنما توجهوا إلى الاهتمام بالجانب السياسي والاقتصادي والعسكري، وفي سياسة التتريك المنتهجة من طرفهم وفرضهم للضرائب على الشعب دلالة واضحة على انحصار اهتمامهم على المجالات السابقة، والطريف أن أثر هذه السياسة بقي إلى يومنا هذا، حيث تجد الجزائري إذا أصابته مصيبة أو سرقت منه أمواله يعبر عن ذلك بـ: "تركت أو تركوني" نسبة إلى الأتراك، وإن كانت هذه الألفاظ العامة مستعملة في الغرب الجزائري بشكل خاص. وبذلك فقد انحصرت الاهتمامات الثقافية في تلك الفترة في الأدوار التي تنهض بها الزوايا والكتاتيب والمساجد التي تحرص على تحفيظ القرآن الكريم وتدرّس التفسير والفقه والتوحيد والتصوف وتعليم اللغة العربية وعلومها (النحو والصرف والبلاغة والعروض)، غير أنه يعد محظوظا من حصل هذه المواد أو أتاحت له فرصة الالتحاق بالزوايا لأنها كانت بمثابة الجامعة اليوم. وذلك بسبب الظروف الاجتماعية والمعيشية المتفاوتة وبسبب الطبقة السائدة وعدم تساوي الفرص بين الفقراء والأغنياء، وهو أسلوب كرسه المستعمر في أثناء تواجده بهدف التفريق بين أفراد المجتمع. لقد مس هذا الضعف جميع مناحي الحياة الثقافية ومنها العلوم الطبيعية، فالحساب الذي اقتصرت وظيفته على تعلم بعض مبادئه التي يحتاجها من يجمع الضرائب أو المواطن الملزم بتسديدها، وأما بالنسبة للطب وعلم الفلك والفيزياء فكانت هي الأخرى متسمة بالضعف، ناهيك عن اختلاطها بالسحر والشعوذة والخرافة، وفي كل الأحوال كان الاهتمام بالعلوم الدينية أكبر بالنظر لقداستها ولحاجة الناس إليها في تقلد بعض الوظائف في الأوقاف والمساجد والقضاء التي تتطلب إلماما بالجوانب الدينية، مما ساعد على انتشار الطرق الصوفية التي استغلتها السلطة لصالحها؛ ذلك لأن التصوف في العهد العثماني اختلف عنه في العصور السابقة، فقد أصبح تخريفا وشعوذة وادعاءات وتنبؤات وتخيلات لا علاقة لها بمستوى الوعي الصوفي الذي كان سائدا مثلا في العصر العباسي في إدراكه العميق لفلسفة الظاهر والباطن. كما أن نشاط الكتابة في الشؤون الإدارية كان حكرا على العثمانيين أو الذين يتقنون اللغة التركية، وذلك لجعل التركية اللغة الرسمية للدولة مكان اللغة العربية التي تقلص دورها كثيرا وضعف. (ينظر، مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، ص. 9 وما بعدها. وينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1).

6: صالح خرفي، الشعر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 11.

7: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

8: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص. 16، 17.

9: المصدر نفسه، ص. 17.

10: المصدر نفسه، ص. 23.

- 11: ينظر، عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 02.
- 12: محمد ناصر، المصدر السابق، ص. 19، 20.
- 13: ينظر، المصدر نفسه، ص. 21.
- 14: المصدر نفسه، ص. 18.
- 15: ينظر، مخلوف عامر، متابعات في الثقافة والأدب، ص. 17.
- 16: ينظر، المرجع نفسه، ص. 21.
- 17: ينظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1969، ص. 272، 320.
- 18: محمد ناصر، المصدر السابق، ص. 28.
- 19: المصدر نفسه، ص. 28، 29.
- 20: المصدر نفسه، ص. 29.
- *: يذكر "محمد ناصر" على وجه الطرافة أن "محمد الهادي السنوسي الزاهري" كان شاعرا ينشر قصائده بجريدة المنتقد تحت إمضاء "شاعر المنتقد". محمد ناصر، المصدر السابق، هامش الصفحة 31.
- 21: محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، تونس، 1927، ص. 8.
- *: من هؤلاء أبو القاسم سعد الله في كتابه دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1966، ص. 32.
- 22: محمد ناصر، المصدر السابق، ص. 30، 32.
- 23: صالح خرفي، المصدر السابق، ص. 37، 38.
- 24: المصدر نفسه، ص. 48.
- 25: المصدر نفسه، والصفحة نقسها.
- 26: المصدر نفسه، ص. 49.
- 27: المصدر نفسه، ص. 50.
- 28: المصدر نفسه، ص. 55.
- 29: المصدر نفسه، ص. 59.
- 30: المصدر نفسه، ص. 70، 71.
- 31: مخلوف عامر، المرجع السابق، ص. 23.
- 32: ينظر المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

- 33: ينظر، محمد ناصر، المصدر السابق، ص. 52، 66، 67.
- 34: المصدر نفسه، ص. 67.
- 35: المصدر نفسه، ص. 46، 47.
- 36: ينظر، المصدر نفسه، ص. 48.
- 37: ينظر، المصدر نفسه، ص. 49، 50.
- 38: المصدر نفسه، ص. 77.
- 39: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- 40: صالح خريفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 13، 14.
- 41: المرجع نفسه، ص. 13.
- 42: محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص. 117، 118.
- 43: المصدر نفسه، ص. 166، 167. وينظر، الهادي محمد السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم: عبد الله حمادي، دار بهاء للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، 172/1.
- 44: محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص. 307.